جنوب السودان ، ما لم يقص من القصة

هيلدا جونسون

Hilde F .John son : Southern Sudan : The Untold story 2016

مولفة الكتاب شخصية معروفة في المجتمع السياسي السوداني " شماله وجنوبه " فقد كانت وزيرة للتعاون الدولي في النرويج ، ثم مفوض الأمين العام للأمم المتحدة لمفوضية جنوب السودان ، بالإضافة إلى مناصب عالمية ، كما لها كتاب عن السودان وإتفاقية السلام ، أبرزت فيه دورها كجزء من جهود أمريكا والإتحاد الأوربي وبريطانيا وبلدها في إتفاقية السلام التي أدت لتقرير المصير ثم الإنفصال وقيام دولة جنوب السودان .

وكتب فاتحة الدراسة الأب ديزمند توتو الأسقف الشهير ، الذي يتكلم عن الحب والسلام والمحبة ولكن حينما يتعلق الأمر بالسودان فليس عنده إلا العبارات المسمومة التي تشبه علاقة الشمال بالجنوب بنظام التفرقة العنصرية والعبودية والسخرة ، وبدأ مقدمته بهذه العبارات المسمومة وهو الحائز على جائزة نوبل للسلام ، وافضل منه عبارات المدح والثناء التي كالها الخواجات المنغمسين في الشأن السوداني للكاتبة والكتاب وكانت إلى حد موضوعية وخالية من الذم والتجريح.

والكتابة النمطية عن تاريخ السودان الحديث ، تجهل أن أهل السودان لم يكن لهم إلا النصيب الضئيل من حكم السودان في الفترة الممتدة من 1820 حتى الإستقلال 1956 – وهي مائة وستة وثلاثين عاما كان نصيب السودانيين 13 عاما هي فترة المهدية 1885- 1898 – وهذه الفترة كان الغالب فيها الإتجاه نحو الشمال والشرق : حروب الحبشة ومصر " إذا من أين جاءوا بالحكايات عن تهميش أهل السودان لأخوانهم في الجنوب وتجارة الرقيق الخ – بل إن تمرد الجنوب بدأ قبل رفع علم الإستقلال وكأنه خنجر مصوب لإبطال تدابير الإستقلال أغسطس 1955م – فالذي بدأ الحرب هي الفرقة الإستوائية وليس حكومة الإستقلال .

تبدأ الكاتبة كتابها بعبارة غير دقيقة ص 3 حينما تقول بحلول الإستقلال عام 1956 فإن السلطة انتهت إلى حفنة من النخبة العربية الإسلامية في الخرطوم ، وهذا كلام غريب ، لأن هذه النخبة هي وليدة مؤتمر الخريجين الذي هو زبدة المشروع التعليمي الحديث ومن صلب المؤتمر خرجت الأحزاب السياسية ، التي دخلت في إنتخابات بإشراف دولي وتحت عين المستعمر الإنجليزي وأصبح الأزهري " كردفاني " رئيسا وسبقه عبدالله خليل أمدرماني وكنزي وله امتداد في أم كدادة كذلك رئيسا وتحت رعاية أهم زعيمين عرفهما السودان

السيدي على الميرغني وعبدالرحمن المهدي وفي البرلمان والحكومة كان كل أهل السودان ممثلين من بوث ديو الجنوب إلى أبي سن الوسط – ولا اعتقد أن هناك قطر حديث الإستقلال كان في حكومته تمثيل وتنوع ومشروعية كما في حكومة الإستقلال ، صحيح أن هناك مظالم برزت في مشروع السودنة الذي اكتمل قبل رفع علم الإستقلال .

وفي ص 4 تفاجأ بخطأ حينما قالت أن جون قرنق أرسل إلى بور في عام 1983 لإخماد التمرد، والحقيقة أنه ذهب في إجازة ولم يرسل لإخماد التمرد ولم يك التمرد في منطقة بور قد بدأ – وتكلمت عن قرنق كمحرر وفارس ولم تتكلم عن قهره وسجونه وسفكه لدماء معارضيهداخل الحركة الشعبية ، كما لم تتكلم عن الدور الليبي والإثيوبي والإسرائيلي والكنسي في دعم التمرد ولأسباب مختلفة ، وليتها رجعت إلى مذكرات المرتزق الألماني الشهير اشتاينر أو حتي إلى كتابي الموسوم Sudan : The christen Design وقد حارب السودان التمرد لأن ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية كان ضد تعديل الحدود القائمة كما حدث في حرب بيافرا ، كما أن حركة تحرير جنوب السودان تختلف عن الثورة الإريترية ، لأن إريتريا كانت تحت الاستعمار الإيطالي ثم وصاية الأمم المتحدة وادخلت في نظام فدرالي مع إثيوبيا وأجهضت إثيوبيا النظام الفدرالي في عهد الإمبراطور هيلاسلاسي ، مكما أدي إلى اندلاع الثورة على خلاف تام مع حركة التمرد العسكري الجنوبي .

وتكلمت في ص 9 – إلي جهود نائب الرئيس على عثمان وجون قرنق ولمدة 18 شهر وخلف أبواب مغلقة واهملت دور د. غازي العتباني . ومن أشجع عبارات الكتاب اشارتها في ص10 إلي أن جون قرنق اغتيل وان ما حدث من أغتيال تعززه نظريات بأن لعبة قذرة قد تمت ، كما ذكرت بأن مراكز القوة في النظام السوداني همشت دور على عثمان بعد مون قرنق ص 11 ، علما بأنه وحسب قولها أن على عثمان وعلى هامش اجتماعات الأمم المتحدة في 24/9/2010 التقي بجون قرنق وأوباما حتى يتم الأستفتاء في موعده .

عنونت الفصل الثاني بعنوان " بلد بدون دولة " وأن الحركة الشعبية كان شعارها يتكلم عن العدالة والمحاسبة والمسئولية وشمول التمثيل والشفافية ولكن حدث العكس ، حيث كانت الأموال تشحن في صناديق ويذهب بها إلى مقر الحركة وليس إلى بنك السودان في جوبا ، في وقت أصبحت الحركة تتحكم في تدفقات مالية تتجاوز المليار دولار سنويا– مما فتح الباب أمام الفساد والعبث وأخبرت جون قرنق بذلك ولم يفصل شيء سوء الإنتظار حتى تقوم المؤسسات ص 25 ، وكانت ميزانية الجنوب في عام 2005م 14.5 مليون دولار واصبحت

في عام 2006 1.34 بليون دولار ص 28 ، ومن أصل 12 بليون حولت من الخرطوم إلى الجنوب ، اختفت أكثر من 4 بليون دولار ، ومن الطرائف أن طريقا وهميا في بحر الغزال صرف عليه مبلغ 368 مليون دولار ص 36 وفضيحة أخري تمثلت في استيراد ذرة بمبلغ 2.3 بليون دولار بواسطة شركات وهمية، وأن أحد الثوار كان يلبس في معصمه ساعة بمبلغ 75 ألف دولار ، وأصبح لبعض ثوار السودان الجديد حسابات في البنوك الأجنبية في حدود مائة مليون دولار في وأن الثوار أصابتهم سكرة الحكم بدليل أن الرئيس سلفاكير تغيب عن حفل أقامه له السكرتير العام للأمم المتحدة حضره معظم رؤساء العالم وهو ضيف الشرق في سبتمبر 2011 وكذلك تغيب عن حفل آخر في عام 2014م اقيم له في الأمم المتحدة بحضور المانحين ص 53 .

وتكلمت عن أن جورج بوش التقى بسلفاكير ثمانية مرات ولكن أوباما لم يستمر على ذات الوتيرة كما أن سلفاكير كان ينفي باستمرار دعمه لقطاع الشمال الحركة الشعبية بينما الامريكان كان يعفرفون تماما قصة الدعم الوارد ، وفي قضية رسوم عبور البترول سخرت من البرلمان السوداني الذي حددها ب 35 دولار للبرميل بينما الرسوم العالمية المعروفة يضع دولارات " لا تتجاوز 3.50 دولار وأدي ذلك إلى صراع مع السودان وقامت حكومة جنوب السودان باختيار أسوأ خيار وهو اغلاق آبار النفط وإيقاف تدفقه إلى الأسواق العالمية ليصبح جنوب السودان بدون ميزانية ابتداءا من 21 يناير 2013م ، مما أدى إلى أن يغرق الجنوب في مسلسل الإستدانة من البنوك والدول الأجنبية ، ومما مهد للصدام حول هجليج وتقول هيلدا أن هجليج جزء من جنوب السودان ولكن لايجوز استردادها بالقوة العسكرية وإنما بالمفاوضات والعمل السياسي وأن قوات جنوب السودان انسحبت من هجليج في 2 ابريل 2013م ولذلك حينما دخلت القوات السودانية لم تجد أثرا للسلاح الثقيل الذي كان قد تمّ سحبه ، ونقف هنا على أن نستكمل في الحلقات القادمة .

أ.د. حسن مكي محمد أحمد

كما ذكرت في الحلقة السابقة ، إن عمر السودان الحديث 1821/ 1954 – حوالي 133 عاما، كان نصيب أهل السودان من الحكم فيها 13 عاما . ومع ذلك تُحمّل هذه البضعة عشر عاما أشكالات واخفاقات الحقبة من مظالم وتجارة رقيق وتهميش علما بأن حقبة الخليفة عبدالله 13 عاما ، كانت حقبة تحرير ومدافعة وكان المشروع المهدوي مشغولا بالجناحين الشرقي والشمالي – بالإضافة إلى حروبه في دارفور والجزيرة وغيرها .

مع نيل جنوب السودان استقلاله ورفع علمه ، كان من المتوقع أن ينشغل بمشاكله الداخلية ، خصوصا وقد فقد قائده الفذ جون قرنق ولكن فجأت ظهرت الحركة الشعبية لتحرير السودان . قطاع الشمال ، كما افتعلت الإدارة الجنوبية صراعات حول هجليج وقامت بغزوها واضطرت للإنسحاب في 20 ابريل 2013م نتيجة للضغوط الدولية وشروع القوات السودانية في تحرير المدينة .

تحسنت العلاقات بين البلدين ببطء ، وتم الإتفاق على رسوم عبور البترول بواقع 11 دولار للبرميل من الوحدة ، 9.10 دولار للبرميل القادم من اعالي النيل ، كما تم الإتفاق على التراجع مسافة 10 كلم من المناطق المتنازع عليها في 12 مارس 2013م ، ولكن ففوجئت الحكومة. السودانية بهجوم مباغت. من. فوات العدل والمساواة وقطاع الشمال على أبوكرشو.لا في 27 ابريل 20134م ، مما دعا الرئيس البشير إلى القول في حفل جماهيري بان حكومة جنوب السودان إذا استمرت في دعم المتمردين فإن الحكومة السودانية ستغلق انبوب النفط في وجه البترول الجنوبي . وفي 23 يوليو 2013م قام الرئيس سلفا بحل حكومته بما فيها ريك مشار ، وتلا ذلك في 27 اكتوبر الإستفتاء الأحادي الجانب الذي تم في أبياي بحضور الثلاثي دينج الور ، ولوكا بيونغ وأدوارد لينو ، والذي انتهي إلى المطالبة بالإنضمام إلى جنوب السودان ومن الغرائب أن سلفا قال بأن الحكومة لن تعترف بنتيجة الاستفتاء ، بينما دافع ريك مشار عن الإستفتاء ، ولكن ظلت القضية الاساسية في الجنوب هي سياسات الإفساد والفساد مما دعا الرئيس سلفا في 22 يونيو إلى توجيه خطاب إلى 72 من كبار رجال الدولة لإعادة ما نهبوه من أموال الدولة ، علما بأن الرئيس سلفا ذاته كانت اصابع الإتهام تشير إليه ، ولم يتم عمل شيء مباشر إلا في يونيو 2015م ضد لصوص المال العام ، حيث ابعد بعضهم واعتقال البعض ، ومن سياسات الفساد وجه الرئيس سلفا بسياسات الإثنية (القبلية العرقية) حينما طالب ريك مشار بتأسيس أربعمائة إدارة شعبية بدلا من نحو ثمانين ، وخصصت

الكاتبة فصلا كاملا عن متاعب مفوضيتها في ولاية جونقلي باعتبارها أكبر الولايات في جنوب السودان وتضم حوالي 1.3 مليون من البشر ، ومع إن غالبية سكانها دينكا إلا أن الصراع فيها يشتد مابين النويرلو ، والمورلي والدينكا في مدارات بور عاصمة الدينكا والبيبور عاصمة المورلي وأكوبو عاصمة النوير. وحتى عام 1991م كانت تقاليد الحرب تمنع قتل الشيوخ والأطفال ، ولكن تغير الوضع مع إنتشار السلاح وفقدان الهوية والذاكرة التاريخية – بل حتى شباب النوير المثقف في كندا ساهم في تأجيج مشاعر الكراهية والحرب وطالبوا بمسح المورلي من الوجود ص 107 . وكان عدد الجيش الابيض نوير في حدود ثمانية آلاف بينما كل قوات مفوضية الأمم المتحدة 3.5 ألف، وحينما استعرت الحرب كانت المرة الوحيدة التي تحركت فيها قوات SPLM للفصل بين المتفلتين وتحت الحاح مفوضية الأمم المتحدة لأن الإدارة الجنوبية كانت ترى الصراعات القبلية أمرا من طبيعة الحياة في الجنوب ، كما كانت الإدارة الجنوبية ترى في قائد المورلي ديفيد ياو ياو عميلا للخرطوم وكان لديه 500 مقاتلا ولم تفعل مفوضية الامم المتحدة شيئا حينما اسقطت SPLM أحد طائراتها في 21 ديسمبر 2012م في منطقة ليكو وقتل ملاحيها الأربعة . وتصف الوضع المأساوي في المنطقة حيث الكل يقتل الكل وينهب البقر مع السرقة وانتهاك حقوق الإنسان بما في ذلك SPLM.

تقول هيلدا انها تعرف سلفا منذ عام 1998م ، وأن سلفا ظل وفيا لجون قرنق حتى في مؤتمر رمبيك نوفمبر عام 2004م ، وأن سلفا لايثق في أحد ، وفي المقارنة بين مشار وسلفا ، تجدها تصف مشار بأنه النقيض لسلفا بجاذبيته وشهامته ، وربما كان هذا سبب مشاكلها مع الرئيس سلفا اعجابها بشخصية ريك مشار ، ومن تعقيدات الجنوب تباين مراكز القوى حول الرئيس سلفا، فهناك أولاد قرنق كباقان موم ودينج الور – وهناك القادة العسكريون الطموحون كبول مالونج Paul Malong ، وقد اعتمد عليه سلفا في صراعه مع مشار ، وكذلك هناك مجموعة لام أكول – بالإضافة إلي مجلس أعيان الدينكا واهم رموزه بونا ملوال ودومنيك ديم .

وقبل مؤتمر رمبيك الشهير في نوفمبر 2004 ، انتهت هيلدا إلى أن التوتر مابين سلفا وجون قرنق أساسه الجنوبيون المدفوع لهم من الخرطوم ــ وكانت مراكز قوى في الخرطوم تريد أن تحول بين جون قرنق ومنصب النائب الأول ص 154 .

بدأت نذر الحرب الأهلية تطل حينما تم حل الحكومة في 23 يوليو 2013م وابعاد مجموعة مشار وأولاد قرنق ثم قام سلفا بعد ذلك بحل أجهزة الحركة الشعبية وشن هجوما على أولاد قرنق والمرافيد ، مما أدي إلى تكوين تحالف ضده من أولاد قرنق ومجموعة ريك مشار ، خصماء الأمس أصبحوا أصدقاء اللحظة ، وفي 6 ديسمبر 20134م تم عقد مؤتمر صحفي في جوبا شارك فيه مشار وباقان ودينج الور ، وكان حينها سلفا في خارج الجنوب في مؤتمر للمانحين في باريس – وشن الثلاثي هجوما ضاربا على سلفاكير الذي سافر بعد ذلك للمشاركة في مراسم تشييع مانديلا في 13 ديسمبر 2013م وتوترت أجواء جوبا بالشائعات ، وفي 15 ديسمبر 2013م عقد الرئيس سلفا اجتماعا لمجلس التحرير غاب عنه السفراء كما غاب عنه أولاد قرنق وكان خطاب سلفا مشحونا وفي المساء اندلعت الحرب بين مكونات الحرس الجمهوري ثم القيادة ، وكانت أبشع حرب شهدها السودان حيث التصفيات علي أساس الهوية وحرق الأحياء ، وطبخ لحومهم وأكلها أحيانا واغتصاب وقتل للأطفال والنساء ، وبقر لبطون النساء الحوامل والمقابر الجماعية والجثث المتعفنة في شوارع مختلف مدن الجنوب ، وسقوط ملكال وبانتيو وبور في يد مجموعة مشار وأصبح القتال بالطائرات والراجمات والدبابات واعتقال اولاد قرنق والتحفظ على زوجته وفرار ريك مشار وامتلأت معسكرات الأمم المتحدة حتى فاضت وبلغت مائتي ألف في مرحلة – وابتدأت مأساة النزوح واللجوء للكنغو ويوغندا وكينيا والسودان ، وفي ولاية الوحدةن لجأ حتى الوزراء والمسئولين غلى معسكرات الأمم المتحدة ، ودخلت قوات العدل والمساواة الحرب إلى جانب الرئيس سلفا ولكن دفعت قواتها ومناصريها الثمن غاليا حينما تمت تصفية مؤيديها حتى داخل مسجد بانتيو بالمئات – واستنجد الرئيس سلفاكير بالقوات اليوغندية والتي لولا حضورها وطائراتها ربما اصبح الرئيس سلفا ذاته نازحا . ومع تأمين جوبا بالقوات اليوغندية أخذت الوفود العالمية تترى على الجنوب بقيادة الأمين العام للأمم المتحدة موم ، ووزير خارجية أمريكا جون كيري ووفود الكنائس والإتحاد الإفريقي .

وبلغت الكارثة حدا حتى أن مجموعة إدارة الأزمة التي شكلها الرئيس سلفا في ظروف الموت والحرب انتهزت هي ذاتها الفرصة للنهب والسلب ، وإتضح أنه لايوجد جيش بما يسمي (الحركة الشعبية) ولكن أفرادا لكل الحرية اختيار قائده ، وكل قائد له جنود من قبيلته. وكانت رؤية القيادة الحاكمة أن مطلوبات إقامة جيش نظامي يقوم على الضبط والربط يصب في مصلحة الخرطوم ، كما كان كل فرقة جيش موازي من الاشباح يصرف مرتبات ولا

وجـود لــه ، عشـرات الآلاف مـن الأسـماء الـوهـمية وقـواد وعـقداء اعـمارهـم أعـمار أطفال .ونواصل في الحلقة القادمة.

دارت الحلقتان السابقتان ، التعريف بالوزيرة النرويجية السابقة هيلدا جونسون وما ورد في كتابها عن جنوب السودان ، وأن الأب ديزمند توتو استهل فاتحته بعبارات مسمومة عن السودان وشبه أهل السودان بنظام التفرقة العنصرية ، وأن ديزمند توتو وهيلدا كلاهما مبرمج عقليا وفكريا بالكتابات المسمومة عن السودان ، علما بأن نصيب أهل السودان في حكم مشروع السودان الحديث (1920-1954) لم يتجاوز الثلاثة عشر سنة ، وهي سنين الخليفة عبدالله أما 120 سنة الأخري فهي شراكة بين حكم الصفوة التركية المتمصرة " اسرة محمد على والأوربيين " ثم الحكم الثنائي ، وفي الحالتين كان أهل السودان كانوا محكومين ومغلوبين على أمرهم – وإن كانت هناك مسئولية عن استعباد أو تجارة رقيق فالمسئولية على الإدارة الخديوية والإدارة الإنجليزية ، أما قبل عام 1820 فلم يك هناك وجود للسودان ، إذ كانت تتقاسمه خمس كيانات أهمها دولة الفونج ثم سلطنة دارفور ومملكتي تقلي والمسبعات وكيان الجنوب الإستوائي بشعوبه وقبائله وسلطانته.

ويفاجأ القاريء بأن السيدة هيلدا ، لم تجد في الدنيا من يصلح ليكون مستشارا لجدون قرنق إلا أشرف غاني – رئيس جمهورية افغانستان الحالي ولا ندري ماذا رأت فيه .؟ هل لأنه صديق لها كما ذكرت في ص 235 ، وهل يحتاج جون قرنق لمستشار وحوله منصور خالد وياسر عرمان وغيرهم أم تريد أن تزجي خدمة لصديقها أشرف في وظيفة ! وماذا كانت نصائح السيد / أشرف البعيد عن دنيا السودان وجغرافيته وأحوال سكانه !

أأما عن جيش جنوب السودان ، فتقول أن فيه عشرات الآلاف من الاسماء الوهمية داخل كل قوة قواد وعمداء أعمارهم اعمار أطفال ، وان السلاح يتدفق من اسرائيل والصين وغيرها ص 234 وتحمل مجموعة لير من دينكا بحر الغزال مسئولية التطهير العرقي والقتل العشوائي وتركز على دور بول مالونق حاكم بحر الغزال ، وأن المؤشرات تدل على أن مجلس أعيان الدينكا ، أعد العدة لإعادة التوازن في جيش الحركة الشعبية بابعاد أبناء النوير من الحرس الجمهوري ، وأن اجهزة الاستخبارات في جنوب السودان مثلها مثل أختها في السودان تصنع الشائعات وتتنافس في نشر المعلومات غير الموثقة .

وتشير إلى أن لكل من شارك في إنفجار الأوضاع في جوبا اجندته الخاصة- أي لكل من تعبان دينق ومشار وبيتر كادين نظامه ، إذ أن الدور الحاسم في تهدئة الامور كان لطيران

ومدفعية يوغندا التي قامت بالدور الاساسي في تشتيت جيش النوير وهزيمته وتقول أنه حتى تحت ظل حكم الخرطوم لم ير الجنوب شرور ومظالم وقعت عليه ، كما حدث في حرب الجنوب الأهلية ومن عدوان الجنوبي على أخيه الجنوبي واستباحة عرضه وماله ولحمه ، وفرار 1.5 مليون نازح بعضهم اتجه إلى السودان .

وتقول أن حكومة السودان لعبت دورا مزدوجا ، حيث في مرحلة ساندت مشار ثم باعت 24 ناقلة جنود لحكومة سلفاكير وتبعها في ذلك حكومات قطر وإيران ولكن الحكومة السودانية كانت منزعجة باستعانة الرئيس سلفا بقوات متمردي دارفور والتدخل اليوغندي كما وردت معلومات بتدخل اريتري وتدفق اسلحة عبرها لمعارضي سلفا كير من إثيوبيا فقد اخذت تعزز في وجودها العسكري تحت راية الأمم المتحدة – أما الولايات المتحدة فقد أعلنت عن عقوبات رمزية على شخصيات جنوبية وتبعها في ذلك الإتحاد الاوربي .

وتلخص الوضع الإنساني في سبتمبر 2014م بوجود بوادر مجاعة وانه بنهاية يناير 2016م فإن 2.3 مليون فروا بجلدهم من أماكنهم ، ومنهم 650.000 عبروا الحدود الدولية ومائتي ألف احتموا بمعسكرات الامم المتحدة – وبعد كل هذه المأساة تصالح الرئيس سلفا وريك مشار واتفقا على تقاسم السلطة في 11 فبراير 2016م – وتساءل – هل يمكن لحكومة إنتقالية من ذات الشخصيات التي تتحمل مسئولية كوارث هذه الحرب سيكون لها المقدرة والإرادة السياسية والطاقة للقيام بمطلوبات المرحلة ؟ خصوصا أن المجتمع الدولي يطلب المزيد من الدعم للجنوب من إدارة حكم الجنوب ذاتها ، وأن الدعم الخارجي لن يتواصل كما كان سابقا ، وأن إنقاذ ما يمكن انقاذه لايمكن أن يتم إلا بأيدي جنوبية وان مسئولية الخلاص والإنعتاق تقع على عاتق وكواهل الجنوبيين أنفسهم ، وأن الجنوب لا يواجه فقط بسؤال دولة فاشلة ولكن بالتمزق والتقسيم والدخول في مرحلة اللا عودة ويبقى هل القيادة التي ساقت الجنوب إلى هذا المصير مؤهلة لانقاذه .

ومن دروس حرب الجنوب ، سقوط ما كان يجرى على لسان الكثيرين أن أهل المشال كأنهم الشيطان والجنوب كأنه الملاك والأولي رفع الوصاية عنهما – والكف عن تحميل أهل السودان ما يجري في الجنوب وأن يتأهل السودان للقيام بدوره كاملا في الجنوب .

أ.د. حسن مكي محمد أحمد

فرانسيس دينق – افارقة العوالم الأثنين – الدينكا في السودان – العربي – الإفريقية صدر هذا الكتاب في عام 1979 تحت عنوان Africans of Two worlds . The Dinka In Afro – Arab Sudan

وصلني الكتاب من بروفيسور يوسف فضل مشكورا في طي عشر كتب لزوم رمضان – وقد بدأت بكتاب القيم الأخلاقية عند السودانيين Sudanese Ethics ثم عرجت على كتاب الدينكا – وقد اصبح الدينكا في هذا اليوم في عالم إفريقي صرف بجنوب السودان، باستثناء دينكا نجوك الذين مايزالون في أبياي المتنازع عليها وإن كانت محكمة العدل لاهاي افتت بأن العرب لهم حقوق ثانوية فقط جنوب بحر العرب بينما اعتبرت الارض جنوب بحر العغرب أرضا الدينكا .

كتب هذا الكتاب ، إبان المجد الذهبي لاتفاقية اديس ابابا ، التي ظت البعد انها حملت الحل النهائي المعضلة جنوب السودان ، وقد سمعت البروفيسور ، عبدالله الطيب يقول إن للسودان امتدادات شرقا وغربا أما الجنوب فهو شيء مختلف وحل مشكلته أن نطلب من الإنجليز أن يعودوا ويأخذوا (مرفعينهم مشكورين) ولعلي أشرت في كتابي الذي صدر باللغتين العربية والأنجليزية المعنون المشروع التنصيري بالسودان – اشرت فيه إلى أن النخبة الجنوبية مزاجية الإنفصال ولا تثق في الشمال وتشربت الثقافة الغربية وأصبحت في قطيعة مع الثقافة الإسلامية – ويبدو لي أن كتاب فرانسيس دينق الصادر قبل حوالي أربعين عاما يؤكد هذه الفرضية .

يشير دينق إلى أن هناك بعد شرق أوسطي " أي مؤثرات دينية يهودية ومسيحية وإسلامية " في الدينكا وأن الخالق عند الدينكا واحد لا يتعدد، ولكن تتعدد الوسائط الروحية التي تقود إليه ، والوسيط هو كيان كهنوت متخيل قد يكون وسيط خير أو وسيط شر ، والوسطاء طبقات بعضها أعلى من بعض – وفي إطار هذه التعددية الروحية – يتم تحوير القصص الديني ، مثل أن المرأة خلقت من جسم الرجل ، وقصة الفاكهة المحرمة التني اكلتها المرأة باغواء الثعبان وماتبعها من ندم وخطيئة ، وكذلك الولادة العذرية ، ولعنة نوح ، فالطفل الذي ولد ولادة عذرية اسمه دينج وكذلك قصة العبور ونجاة دينج وهلاك اعدائه غرقا – وأن الدينكا جاءوا من الشرق – من نواحي سنار وجبل موية .

ومن عادات الدينكا القديمة ومثلهم مثل الشلك والتي سعي في إبطالها الإنجليز – انهم لايتركون سلاطينهم يموتون حتف انفهم وانما يعجلون بقتلهم منى ما أصابهم الهرم – ومن

عقائدهم عقيدة الحرية المقدسة التي اعطاها الخالق عند لحظة الخلق للوسيط الروحي القبيلة جوك – ويتكلم عن كبرياء الدينكا وان الدينكاوي يري ارضه افضل أرض وابقاره أفضل الإبقار وعرقه افضل الأعراق – والبقرة هي هدية الإله للدينكا وهي وسيلة الزواج والثروة والفداء والتواصل .

أما الجزء الثاني من الكتاب فيخصصه الكاتب لروايات شيوخ واعيان وسلاطين الدينكا لتاريخ القبيلة وعلاقاتها مع الشمال ومستقبل البلاد واتضح من خلال نقاشاته مع اعيان القبيلة ، أن من اشد التأثيرات على عقل الدينكا تجارة الرقيق ، التي حسب رواياتهم صاحبها العنف والخطف وتدمير الحرث والنسل وفقدان الدينكا لرأسمالهم المتمثل في البقر ويشيرون إلى التركية والمهدية بحقبه فساد العالم وبالنسبة للدينكا – فإن التركي والدنقلاوي يرمزان للإسترقاق وغياب القانون – لأنهما يريدان نهب ثروتك واخذ زوجتك وأطفالك – والعرب طاعون في الذاكرة ولكن حروبهم مع النوير مثلا لها شأن آخر ، لأنها حروب اخوان واقارب – حروب الأسود مع الأسود.

وركز دينق على أن الشماليين كذلك في بعض البلاد العربية ينظر إليهم كعبيد – ومع إن كل الجنوب لم يك مؤيدا للرئيس النميري – إلا أن النميري في المخيلة الجنوبية يمثل المخلص – ومع ذلك فإن الجنوب يري في سلام نميري سلام مرحلي ، والجنوب يوم عرسه هو يوم تأكيد ذاته بالإنفصال ، لأن الجنوبي في السودان مواطن درجة ثانية في ظل هيمنة الشمال وصورة الجنوبي في المختلة الشمالية كعبد ــ وأن العلاقة مع الشمال مجرد زواج متعه ستنتهي أما إلى حرب او انفصال ، وان مسئولية انقاذ الجنوب مع براثن الشمال في يد متعلميه لأن الجنوبي الامي أو الجاهل يتحرك بمنطق القطيع ولا يستطيع حتى إدارة شأنه ، ولكن المتعلم يعرف إدارة الشأن الخاص والعام وبذلك هو مؤهل لتخليص شعبه وإيجاد المخارج له .

دائما كانت رؤيتي أن كل كتابات المفكرين الجنوبيين تدور حول الإنفصال وأن للجنوب ثقافة وهوية نافية لفكرة الوحدة مع المشال ، ومع أن كلام كثير يدور حول هوية الجنوب الإفريقية ، ولكنها مجرد فرضية باطلة ، لأنه ليس لإفريقيا هوية معيارية أو لغة معيارية أو ثقافة معيارية بل إن اكبر مؤثر في الثقافة الإفريقية هو الإسلام كما في حالة نيجيريا وغرب إفريقيا والله أعلم .

أ.دحسن مكي محمد احمد

?The End of the West

Crisis and change in the Atlantic order

نهاية الغرب ؟ الأزمات والمتغيرات في النظام الأطلسي ، سلسلة أبحاث في الجغرافيا / السياسية، قام باعدادها وترتيبها عدد من علماء السياسة – وصدرت في كتاب عام 2008م والكتاب وصلني هدية من الأخ الكريم السفير خالد فتح الرحمن قبل سنوات وظل حبيس الرفوف إلى أن جاء دوره وأطئمن الأخ السفير د. الدرديري محمد أحمد أن كتابه بالإنجليزية الموسوم (الحدود وقطيعة الإنفصال والقانون الدولي) سيجد حظه ، وهو عمل أكاديمي متميز ولكن الطاقة أصبحت محدودة والقراءة النقدية صعبة وسط ضغوط العمل والطقس والتجاذبات الآخري.

واعود لكتاب نهاية الغرب ، والمقصود بنهاية الغرب ، انهيار حلف الأطلسي ، كأكبر تجمع أمني وعسكري عرفه التاريخ – وليس المقصود بنهاية الغرب انهيار المنظومة الغربية لأنّ فوكوياما كاحد ممثلي الغرب ، يراهن على أن ما وصل إليه الغرب من إبداع هو نهاية التاريخ ، بمعنى أن العالم يتجه حثيثا لتمثل النموذج الغربي والإقتداء به سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وتقنياً، ولعل ما يحدث هذه الأيام من هرولة من الكبار والصغار نحو الغرب يشفع لمقولة فوكوياما نهاية التاريخ.

برز هذا الكتاب بعد خمس سنوات من المداولات والمراجعات بين عدد من كبار علماء السياسة في الغرب ، وكان الداعي الأبرز لذلك ، الصدع الذي حدث في حلف الأطلسي نتيجة للحرب على العراق ، حيث وقفت عدد من الدول الأوربية بقيادة فرنسا وألمانيا ضد مشروع الحرب على العراق ، بينما وقفت بريطانيا وأسبانيا مع أمريكا في غزو العراق دون رضى مكونات الحلف .

أدى الغزو الأمريكي / البريطاني للعراق بحجة امتلاك العراق لأسلحة دمار شامل صدع في الثقة بين مكونات مجموعة الأطلسي خصوصا بعد أن تكشف أنه لاتوجد أسلحة دمار شامل حسب ما توصل له المفتشون الدوليون وكذلك بعد الغزو – كما ان المعلومات بدأت تفيح عن حلف دم بين المحافظين الأمريكيين أصحاب مشروع القرن الأمريكي لتدمير العراق بأي ذريعة.

وأخذت الرؤي تتباعد بين مكونات الحلف في قضايا الإرهاب والدول الفاشلة ومحكمة الجنايات الدولية والمواقف من الصين وكذلك إعادة تشكيل مجلس الأمن وقضايا التغيرات

المناخية وبرتوكول كويوتا حول المناخ وكذلك قضايا التسلح النووي والشرق الأوسط- وقضايا الاقتصاد ومعادلة الدولار واليور والخ.

تكون حلف الأطلسي في مراحل بدأ بميثاق الأطلسي 1941م ، ثم معاهدة أخرى في عام 1944 عرفت Bretton woods ثم ميثاق الأمم المتحدة عام 1945م ومشروع مارشال لأوربا عام 1947م – ثم ولد ميثاق حلف الأطلسي في ابريل 1949 كتعبير عن الوحدة الروحية والسياسية بين أوربا وأمريكا – وكانت بدايات فكرة الحلف في ايام الحرب ، حينما خرجت أمريكا من عزلتها لتحارب مع روسيا وبريطانيا المانيا النازية واليابان ، إذا فالحلف لم يك موجها أساسا ضد الإتحاد السوفيتي كما أنه ليس ابن ظروف الحرب الباردة ، ولكن من المؤكد أن الخوف من الشيوعية الدولية متن فكرة الحلف ، كما أن الحلف لم تنقص اهميته بعد دوال دولة الشيوعية وانتهاء الحرب الباردة بل توسع وانضمت إليه دول أوربا الشيوعية كبولندا والمجر وبلغاريا .. الخ، واصبح يضم 27 دولة ومن ضمنها تركيا وهي الدولة الوحيدة من خارج اوربا ، وتجد تركيا نفسها في غير إتساق مع الوحدة الروحية لمنظومة الحلف ، لأنّها مسلمة ولكنها تبقي للإستفادة من قوة الحلف ونظامه الأمني وسوقه ومؤسساته وإن كانت لا تتوافق وهويته.

ويمتد الحوار بين مكونات الأطلسي حول تعريف الإرهاب ، والتطرف الإسلامي والمسألة النووية والصراع العربي / الإسرائيلي وبروز الصين ، كوريا الشمالية وحتى المسألة السودانية حيث رؤية أوربا تحالف أمريكا لذا لجأت أمريكا للعقوبات الآحادية ولمجلس الامن.

وفي تاريخ الحلف أزمات كما حدث في العدوان الثلاثي عام 1956 على مصر ، حيث تطابقت وجهات النظر الأمريكية والروسية ، مما اضطر الإنجليز والفرنسيين والإسرائيليين لإيقاف العدوان مما أبرز جمال عبدالناصر كزعيم عالمي ، كما أن ديجول فرنسا انسحب من الحلف عام 1969 نتيجة لسيطرة أمريكا على قرار الحلف وكان ديجول يريد أن يقول أن فرنسا قوة موازية ويجب أن تكون لها كلمتها . ولم يك ديجول راضيا عن التدخل الأمريكي في مناطق نفوذ فرنسا كلبنان وفيتنام الخ . بل إن ديجول استعمل النيتو ضد دخول بريطانيا للإتحاد الأوربي عام 1963 . وفي عام 1966م أمر ديجول كل قوات النيتو بمغاردة الاراضي الفرنسية ، والبالغ عددها 26 ألف جندي / امريكي ، واعترفت فرنسا بالصين الشيوعية عام 1964 بينما كان الفيتو يعترف بتايوان " الصين الوطنية " وقال ديجول كلمته الخطيرة بأن الولايات المتحدة تمثل الخطر الاعظم على السلام العالمي في عالم اليوم ، ولم

يسبقه على ذلك إلا الفيلسوق الفرنسي المسلم روجيه غارودي الذي وصم أمريكا بانها طليعة الإنحطاط العالمي (هذه من عندي)

وكان من خلافات النيتو، أن حسمت أمريكا العدوان الصربي على البوسنة بعد أن قام الصرب تحت سمع وبصر الأوربيين بقتل وطرد ثلثي مسلمي البوسنة إلى أن فرضت أمريكا صلح ديتون 1995 Dayton ، وقد تصاعدت خلافات منظومة الناتو بعد حرب العراق ويبدو أن الحفاظ على المنظومة أساسه التجارة لأن حجم التجارة في اليوم الواحد مع دول منظومة الناتو أكثر من بليون يورو. وفي الخلاصة ما أراه أن صورة العالم ممزقة ، وما يجري في سوريا والعراق يعري منظومة الناتو وليس هناك أتفاق على قواعد السلام العالمي وأمريكا تقرير في إطار السطوة اليهودية وعلى شباب الباحثين ألا يزهدوا في قراءة مثل هذه الكتب – صحيح أنها مملة وتحتاج لطاقة عالية من التركيز ولكن بدونها لايمكن الدخول في نادي العلوم السياسية أو التاريخ المعاصر – ولعل خفة العقول السطحية هي التي جعلت بعض شبابنا اعضاء في نادي التكفير عن جدارة واستحقاق .